الرفق في شخصية الداعية وأثره على المدعوين

(دراسة وصفية تحليلية)

د. محمد سالم سليمان الطَّاهر

عميد كُلّيّة الدَّعوة والإعلام بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة

مستخلص:

يتناول البحث موضوع الرّفق في شخصيّة الدّاعية وأثره على المدعوّين، حيث يُبيِّن أهميّة الرّفق كخُلُق نبويّ وأثره في حياة الدّاعية ومدعوّيه، مستعرضاً أدلّة من القرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة. ويبرز البحث حاجة المجتمع إلى أسلوب الرّفق وأثره الإيجابي في العلاقات الإنسانيّة، حيث يُعَدُّ الرّفق داعماً لنجاح الدّاعية في التّواصل مع المدعوّين. تشمل أهداف البحث: تفعيل الرّفق، توضيح أهميّته في العلاقات الإنسانيّة، وبيان تأثيره الدّعوي على شخصيّة الدّاعية. يُبرز البحث مشكلة عدم تطبيق مفهوم الرّفق في الحياة اليوميّة، ممّا يُؤدّي إلى اتّساع الفجوة بين الأفراد. وقد سعى الباحث للإجابة عن عدّة أسئلة حول أثر الرّفق في شخصيّة الدّاعية وتعامل الأنبياء مع المدعوّين. واستخدم المنهج الوصفيّ التّحليلي، حيث قسّم البحث إلى مباحث تُركِّز على مفهوم الرّفق وأهمّيته ومجالاته ونماذج من رفق الأنبياء بأقوامهم وآثار الرّفق. ومن النّتائج الرّئيسة: أنّ الرّفق يُعَدُّ من أعظم مُقوِّمات شخصيّة الدّاعية، وله تأثيرات إيجابيّة في تحسين العلاقات. وتشمل توصيات البحث: الالتزام بأسلوب الرّفق في الدّروس، وتعليم الدّعاة أساليب الرّفق من خلال الدّورات، ونشر الوعي حول أهميّة الرّفق.

Abstract:

This study explores the theme of ***"Gentleness in the Personality of the Islamic Preacher and Its Impact on the Audience."*** It highlights the significance of gentleness as a prophetic trait and its profound influence on both the preacher and those receiving the message, supported by evidence from the Qur'an and Sunnah. The study underscores the contemporary need for gentleness as an essential approach in human relations, emphasizing its role in enhancing the preacher s effectiveness in communication and outreach. The objectives of this research include activating the principle of gentleness, clarifying its importance in interpersonal relations, and analyzing its impact on the preacher,s personality and effectiveness in da,wah. The research addresses the problem of neglecting gentleness in daily life, which contributes to widening social gaps among individuals. It also seeks to answer key questions regarding the role of gentleness in shaping the preacher,s personality and the prophetic model in dealing with audiences. Adopting the descriptive-analytical methodology, the study is structured around thematic axes that discuss the significance of gentleness, prophetic examples of gentleness, and their outcomes. The findings reveal that gentleness represents one of the most vital pillars of the preacher,s character and contributes positively to improving relationships and strengthening the da,wah process. The study recommends adhering to gentleness in religious teaching, incorporating training programs to equip preachers with effective methods of gentleness, and promoting broader awareness of its importance. The research draws on the Qur,an, historical works, and classical Islamic heritage sources.

Keywords: Gentleness, Islamic preacher, Prophetic ethics, Human relations, Da'wah effectiveness.

مُقَدِّمَة :

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مُضِلّ له، ومَنْ يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، الّذي بلَّغ الرّسالة وأدَّى الأمانة، وأعلم برسالات ربّه خير إعلام، فلم يسمع النّاس قطُّ -بعد القرآن الكريم- بكلام أعمّ نفعاً ولا أصدق لفظاً من خطابه ﷺ، الّذي قلَّت حروفه، وكَثُرَ معناه، ولجَّ عن الصّناعة، وتنزَّه عن التّكلُّف، ولم ينطق عن الهوى، إنْ هو إلاَّ وحي يوحى، علَّمه شديد القوى، شهد الله له بالقَبول، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾[الشّورى: 52]. وبعد،،،

فقد دعا الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة، ومن ذلك:خُلُق الرّفق، فهوخُلُقٌ نبويّ عظيم، تعامل به الأنبياء -عليهم السّلام-، وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ، فقد امتثله ووضعه قاعدة لكي يتعامل به كُلُّ مَنْ أتى من بعده، حيث قال: (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)(1). والأحاديث النّبويّة الرّفة المُبيِّنة لأهميّة أسلوب الرّفق كثيرة، فتارةيحُذِّر النّبيّ ﷺ من تركه بقوله -عليه الصلاة والسّلام-: (مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ)(2)، وتارة يدعو لمن ترفَّق بأُمّته: (اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب الرّفق، برقم 2594، ج 4، ص 2004.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل الرّفق، برقم 2592، ج 4،

بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَشُقَّ عَلَيْهِ)[1]، وفي موضع آخر يُخبرُ بعون الله وعطائه لمن ترفَّق بأُمّته: (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَاسِوَاهُ)[2].

تتّضح أهميّة أسلوب الرّفق في حياة الإنسان عامّة وفي حياة الدّاعية خاصّة في أنّ المدعوّ يميل إلى الكلمة الطّيّبة، وإلى كنف رحيم وبشاشة سمح وحليم، لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، وإلى قلب رقيق يحمل همومهم. وفي المقابل تنفر النّفس البشرية ممّن يخالف رغبات كثير منهم ويعارض شهواتهم. لكن اتّصاف الدّاعية بالرّفق يسهم في إزالة أو تقليل هذا النّفور.

فما أحوج الدّعاة إلى الله تعالى، الّذين حملوا بين جوانحهم أنْ يقتدوا بسيّد البشريّة وخاتم الأنبياء والمرسلين، في التّخلُّق بهذا الخُلُق العظيم (الرّفق)، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

ص 2003.

(1) أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده، باب ما يُرْوَى عن عبد الله بن عامر، برقم 1119، ج 2، ص 536.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل الرّفق، برقم 2593، ج 4، ص 2003.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت الكتابة في هذا الموضوع للأسباب التّالية:

1. تلبية حاجة المجتمع المعاصر إلى الإلمام بأسلوب الرّفق.
2. بيان أهميّة الرّفق للدّعاة، وأنّ للرّفق مواطن كثيرة ومجالات مُتعدّدة.
3. إبراز أثر أسلوب الرّفق عند الدّاعية في دعوته إلى الله.

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة البحث في أنّ النّاظر إلى تعامل النّاس وأخلاقهم اليوم يلحظ عدم امتثال الرّفق في حياتهم؛ ممّا أبعد الكثيرين عن بعضهم، وأدّى لظهور أمراض الحقد والخصومة والمقاطعة في المجتمع. ذلك كُلّه بسبب البُعْد عن المنهج الدّعويّ في الدّعوة إلى الله تعالى. ولمّا كان الدّين المعاملة، وأنّ النّاس يحتاج بعضهم إلى بعض ويُكمل بعضهم بعضاً؛ كان هذا لا يتأتّى إلاّ بأسلوب دعويّ قويم ومنهج ربانيّ سليم، يكون الرّفق فيه سمتاً وخصلة، وزينة وحِلية، كما بيّنَ ذلك النّبيّ ﷺ بقوله: (مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ عُزِلَ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)[1].

أسئلة البحث:

لمعالجة المشكلة الآنفة يُلقي البحث الأسئلة التّالية:

1. ما الأثر الدّعويّ لأسلوب الرّفق في حياة الأُمم؟
2. كيف تعامل الأنبياء -عليهم الصّلاة والسّلام- مع أقوامهم بالرّفق؟

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النّساء، مسند الصّدّيقة عائشة -رضي الله عنها-، برقم 25709، ج 4، ص 467.

3. ما الآثار المُترتّبة على أسلوب الرّفق في شخصيّة الدّاعية والمدعوّ؟

أهميّة البحث :

تبرز أهميّة هذا البحث من خلال الحاجة الملحّة إلى التّعامل بين النّاس بأسلوب الرّفق في شتّى الميادين، وبصفة خاصّة مع المدعوّين؛ لأنَّ الرّفق آثاره عظيمة في نفوس المدعوّين.

وفي وقتنا الحاضر الّذي وواقعنا المعاصر يشهد المتابع في أخلاق النّاس سرعة الغضب والتّوتُّر والانفعال، حتَّى أصبحوا يتميَّزون بالعُنْف والغلظة والفظاظة، ويرى إهمالهم لجانب الرّفق واللّين في تعاملاتهم، إمّا تهاوناً أو جهلاً. لذلك يجدر بالدُّعاة أنْ ينتهجوا أسلوب الرّفق ويستخدمونه في الدّعوة إلى الله تعالى؛ لأهميّته البالغة وتأثيره الواضح.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق التّالي:

1. تفعيل أسلوب الرّفق في حياة الأُمّة، وتجسيده واقعاً ملموساً وسلوكاً مُتّبعاً في شتّى مجالات الحياة.
2. توضيح أنَّ الرّفق مطلوب في العبادات، كما هو مطلوب في المعاملات وسائر العلاقات.
3. بيان الأثر الدّعويّ لأسلوب الرّفق في شخصيّة الدّاعية.
4.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفيّ التّحليليّ والمنهج الاستقرائيّ للوصول إلى النّتائج.

هيكل البحث :

يتكوّن هيكل البحث من مُقَدِّمَة، وثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأوّل: مفهوم الرّفق وأهميّته ومجالاته:

المطلب الأوّل: مفهوم الرّفق

المطلب الثّاني: أهميّة الرّفق

المطلب الثّالث: مجالات الرّفق

المبحث الثّاني: نماذج من رفق الأنبياء مع أقوامهم:

المطلب الأوّل: رفق نبيّ الله نوح عليه السلام

المطلب الثّاني: رفق نبيّ الله إبراهيم عليه السلام

المطلب الثّالث: رفق نبيّ الله موسى عليه السلام:

المطلب الرّابع: رفق نبيّنا محمد ﷺ

المبحث الثّالث: أثر أسلوب الرّفق على الدّاعية والمدعوّين:

المطلب الأوّل: أثر أسلوب الرّفق على الدّاعية

المطلب الثّاني: أثر أسلوب الرّفق على المدعوّين

وخاتمة تشتمل على النّتائج والتّوصيات.

المبحث الأوّل

مفهوم الرّفق وأهميّته ومجالاته

المطلب الأوّل: مفهوم الرّفق:

1/ الرّفق في اللُّغة:

جاء في "لسان العرب": "الرّفق:ضِدُّ العُنْف، ورَفَقَ بالأَمرِ وَلَهُ وَعَلَيْهِ يَرْفُق رِفْقاً ورَفُقَ يَرْفُقُ ورَفِقَ : لَطُفَ . ورَفَقَ بِالرَّجُلِ ولَرْفَقه بِمَعْنىً . وكَذَلِكَ تَرفَّق بِهِ. ويُقَالُ : لَرْفَقْته، أَي نَفَعْته، ولَوْلاه رافِقةً أَي رِفْقاً،وَهُوَ بِهِ رَفِيق: لَطِيف، يقال: هذا الأَمر بك رَفِقٌ ورافِقٌ عليك. والرّفق لِين الجَانِبِ ولَطافةُ الْفِعْلِ ،وَصَاحِبُهُ رَفِيق،وَقَدْ رَفُقَ يَرفُقُ ، وإِذا أَمرت قُلْتَ :رِفْقاً،وَمَعْنَاهُ ارفُق رِفقاً"[1].

والرِّفق -بالكسرِ-: مَا لمْتعينَ بِهِ، وقيل: الرّفق: حُسنُ الانْقِيادِ لما يُؤَدِّي إلى الجَمِيلِ . والرّفق: اللُّطْفُ ، وهو ضدُّ العُنْفِ ، وقال اللّيْث: الرّفق:لِينُ الجانِب، ولَطافَةُ الفِعْل[2]. والرّفق ضدّ الخُرْق،رَفَقَ يرفُق رِفْقاً فَهُوَ رَفِيق بِكَذَا وكَذَا. ولَلُاَ نرَفِيق بفلان ورافِق بِهِ، وَهُوَ اللُّطف وحُسْن الصَّنِيع إِلَيْهِ. وأرفقَه يُرفقه إرفاقاً، إذا أوصل إِلَيْهِ

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ 3، 1414 هـ، ج 10، ص 118.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205 هـ)، دار الهداية، ج 25، ص 346 .

رِفْقاً[1].

2/ الرّفق اصطلاحاً:

يُعرَّف الرّفق بأنّه: (لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العُنْف)[2]، وهو (المداراة مع الرّفقاء، ولين الجانب واللّطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها)[3].

كثيراً ما تأتي كلمة (الرّفق) مرادفة ومطابقة للمصطلحات التّالية: الرّأفة، والرّحمة، والشّفقة، والعطف، واللّطف، واللّين، واللِّيْن ، والحكمة، والتّدرُّج في الدّعوة، والقول الحَسَن، وبشاشة الوجه ... وغيرها من المعاني التي تصبّ في معنى الرّفق.

المطلب الثّاني: أهميّة الرّفق:

من الموعظة الحَسَنة أنْ يستخدم الدّاعية في وعظه أسلوبيْ الرّفق واللّين، اللّين في مكانه والشّدّة في مكانها. فالقاعدة العامّة هي استعمال الرّفق واللّين مع المدعوّين. وقد تضافرت نصوص الكتاب الكريم والسُّنّة النّبوية المُطهَّرة في الأمر بلين القول، وحُسْن

(1) جمهرة اللُّغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321 هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ 1، 1987م، ج 2، ص 784.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشّافعيّ، دار المعرفة، بيروت، 1377هـ، ج 10، ص 449.

(3) تحفة الأحوذي بشرح جامع الرّمذي، أبو العلا محمد عبد الرّحمن بن عبد الرّحيم المباركفوري (ت: 1353هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج 6، ص 130.

الخُلُق، والرِّفق مع الغير:

أ/ فمن نصوص القرآن الكريم:

1. قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].
2. قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: 44].
3. قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: 23].
4. قال تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء: 28].
5. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

نأخذ من الآية الأخيرة فائدة وعبرة عظيمة، وهي: أنّ النّاس يجتمعون على الرّفق واللّين، ولا يجتمعون على الشّدّة والعُنْف. وهذا مقتضى الآية؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾. وهؤلاء هم أصحاب النّبيّ ﷺ من المهاجرين والأنصار، والسّابقين الأولين، فكيف بمَنْ بعدهم؟! وكيف بمَنْ ليس له مقام رسول الله ﷺ من النّاس، سواء كان من العلماء أو من الدُّعاة أو ممّن لهم رياسة أو وجاهة أو مكانة أو تجارة أو ما أشبه ذلك؟! إذاً: فالرّحمة والرّفق بالنّاس أمر ضروريّ وأسليّ، ولا يمكن أنْ يجتمع النّاس إلاّ على أساس الرّحمة والرّفق. ولهذا يقول أبو الدّرداء ﷺ

لرجل سبّه وشتمه وأغلظ له: "يا هذا! لا تغرقنّ في سبّنا وشتمنا، ودع للصّلح موضعاً، فإنّنا لا نكافيء مَنْ عصى الله تعالى فينا بأفضل من أنْ نطيع الله تعالى فيه"[1].

ب/ ومن السُّنّة النّبويّة الرّفق:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَسِّرُوا ولَا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولَا تُنَفِّرُوا)[2]. وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)[3].

فينبغي على الدّاعية أنْ ينتقي ألين الكلمات وأرقّها وألطفها ليستميل بها الموعوظ أو المدعوّ وليأسر قلبه. وقد قيل: مَنْ لانت كلمته وجبت محبّته. وقيل: البشاشة مصيدة المودّة. وقال سفيان بن عيينة: "طلاقة الوجه عنوان الضّمير، بها يُسْتَنْزَل الأمل البعيد"[4].

---

(1) أدب الدّنيا والدّين، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450 هـ)، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة 1986م، ص 252.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما يُكْرَه من التّنازع والاختلاف في الحرب، برقم 3038، ج 4، ص 65.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب الرّفق، برقم 2594، ج 4، ص 2004.

(4) البصيرة في الدّعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط/ 1، 1426هـ-2005م، ص 119.

والمدعوّ لو لم يجد عند الدّاعية إلاّ طلاقة الوجه لتأثّر بذلك أثراً إيجابياً مع أنّه يسير على مَنْهَجٍ سيرَ ه الله عليه.

قال المتنبيء:

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ[1]

كما قيل -أيضاً-: وفي حُمرة الخدّ ما يُغْني عن الخجل.

والمستعمل لأسلوب الرّفق لا شكّ مُوفَّق -بإذن الله تعالى-.

وقد يحتاج الدّاعية مع بعض الأشخاص إلى نوع غلظة وشدّة في الموعظة، وهذا من الفقه والبصيرة الّتي ينبغي أنْ يسلكها الدّاعية، وهي الاجتهاد في حال الموعوظ[2].

المطلب الثّالث: مجالات الرّفق:

للرّفق ميادين فسيحة ومجالات عريضة، منها:

1/ الرّفق مع الجُهّال:

الجُهّال أصناف وأنواع، وجهلهم إمّا جهل علم أو جهل تحرٍّ ، وعلى الدّاعية أنْ يترفّق بالجُهّال كيفما كانوا. ولقد رفق النّبيّ ﷺ، بالأعرابيّ الّذي بال في المسجد وتركه حتّى فرغ من بوله وأمر أصحابه بالكفّ عنه، وألاّ يقطعوا عليه بوله، فلمّا فرغ دعاه

(1) شرح ديوان المتنبيء، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحديّ النيسابوري الشّافعيّ (ت: 468 هـ)، ص 349.

(2) البصيرة في الدّعوة إلى الله، المرجع نفسه السابق، ص 119.

النّبيّ ﷺ، وأخبره أنَّ المساجد لم تبنَ لهذا وإنّما هي لذكر الله والصّلاة. فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ: مَهْ مَهْ[1]. قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لاَ تُزْرِمُوهُ[2]، دَعُوهُ). فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله -عَزَّ وَجَلَّ -، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ). قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[3].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النّبيّ ﷺ،وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً،حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النّبيّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"[4]. بأبي وأمّي هو رسول الله ﷺ، ما قَهَرَ ولانَهَرَ، ولا تبرَّم ولا تضجَّر.

---

(1) كلمة زجر ونهي، بمعنى: لا تفعل ذلك.

(2) أي: لا تقطعوا عليه بوله.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطّهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النّجاسات إذا حَصَلت في المسجد وأنَّ الأرضَ تَطْهُر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، برقم 687، ج 1، ص 163. ومعنى: شنَّه: صبّه صباً مُتقطّعاً.

(4) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فرض الخُمُس، باب ما كان ﷺ يُعْطِي المُؤلَّفة قلوبهم، برقم 3149، ج 4، ص 94.

2/ الرّفق مع المبتدئين بالإسلام:

من الّذين يُخَصُّون بمزيد من الرّفق: المبتدئون في الإسلام، والعلم، وطريق الاهتداء. والغفلة في هذا الجانب قد تُؤدّي إلى فتنة وانعكاس في المقصود. وقد قال – عليه الصّلاة والسّلام– لمعاذ وأبي موسى ﷺ لما بعثهما إلى اليمن: (بَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا)[1].

يقول ابن حجر: "والمراد تأليف مَنْ قَرُبَ إسلامه وترك التّشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزّجر عن المعاصي ينبغي أنْ يكون بتلطُّف ليُقْبَل، وكذا تعليم العلم ينبغي أنْ يكون بالتّدرُّج؛ لأنّ المتعلّم إذا كان في ابتدائه سهلاً حُبِّب إلى مَنْ يدخل فيه، وتلقّاه بانبساط، وكانت عاقبته غالباً الازدياد، بخلاف ضدّه"[2].

وينبغي للدّاعية أنْ يتمثّل القدوة في هذا الباب– الرّفق– بمجالسيه، فيتحمّل مَنْ كان منهم ذا فهم بطيء، ويسع بحلمه جفاء ذي الجهالة، ولا يُعنِّف السّائل بالتّوبيخ القبيح فيخجله، ولا يزجره فيضع من قدره[3].

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما يُكْرَه من التّنازع والاختلاف في الحرب، برقم 3038، ج 4، ص 65.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، ابن حجر العسقلانيّ، مرجع سابق، ص 163.

(3) القدوة مبادىء ونماذج، د صالح بن عبد الله بن حميد، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السّعوديّة بدون بيانات، ص 28.

3/ الرّفق مع كُلّ ذي كبد رطب (الرّفق مع الحيوان):

الرّفق ليس حقّاً مقصوراً على بني الإنسان، بل هو حقٌّ محفوظ لكُلّ ذي كبد رطبة. يجُسِّد ذلك في أقوى صوره، بل أغلظ ما يُتصوَّر من حالات، حين يقول الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام-: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[1]. وأيّ رفق بعد هذا الرّفق في حالة إزهاق الرّوح وفصل الرّأس عن الجسد؟!

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَارَسُولَ اللهِ أَلَنَا أَجْرٌ فِي الْبَهَائِمِ؟ قَالَ: (نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبٍ أَجْرٌ)[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا)[3]. فهذه المرأة غفر الله لها ما كان منها من فجور بسبب أنّها رفقت بهذا الكلب الذي وجدته يدور حول البئر وقد أخرج لسانه من شدّة العطش، فما منها إلاّ أنْ رحمته بنزع خُفّها وسقيه. فهذا رفق بالحيوان.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصّيد والذّبح، باب الأمر بإحسان الذّبح والقتل وتحديد الشّفرة، برقم 1955، ج 3، ص 1548.

(2) أخرجه أبي عوانة في مستخرجه، كتاب الحجّ، باب ذكر الخبر اليقين أنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، برقم 5342، ج 3، ص 367.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم 2245، ج 4، ص 1761. ومعنى أدلع لسانه: أخرجه، والموق هو الخُفّ.

المبحث الثّاني

نماذج من رفق الأنبياء مع أقوامهم

المطلب الأوّل: رفق نبيّ الله نوح ﷺ:

لقد كانت حياة سيّدنا نوح ﷺ الدّعويّة طويلة جدّاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: 14]. كانت حياة دعويّة مُكلّلة بالرّفق، منتهجة للصّبر، داعية إلى الله بالّتي هي أحسن.

حاول سيّدنا نوح ﷺ بشتّى الوسائل إثارة مشاعر قومه وإشعارهم برفقه ورحمته، فالموعظة الحَسَنة هي الّتي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمّق في المشاعر بلطف، ولا تكون بالزّجر والتّأنيب. فدعاهم إلى الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: 59]. وقد قرن سيّدنا نوح ﷺ اللّطف والرّفق في دعوته بشفقة وخوف من أنْ ينال قومه عذاب الله -عزّ وجلّ-.

ويأتي موقفه مع ابنه الكافر مُسطّراً لمعاني الرّفق والشّفقة، فبدأ حواره معه بنداء رفيق رقيق بقوله: (يا بنيّ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: 42]. فلم يكن من ابنه إلاّ أنْ ردّ عليه مُدْبِراً: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا

عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: 43].

المطلب الثّاني: رفق نبي الله إبراهيم عليه السلام:

لقد كانت دعوة سيّدنا إبراهيم عليه السلام متضمّنة لأسمى معاني الولاء لله -عزّ وجلّ- والبراء من كلّ ما يشغله وأهله، حتّى إنْ كان مُتمثّلاً في أحبّ النّاس إلى قلبه (والده). فأحزن إبراهيم عليه السلام ذلك، وقام بدعوته بكلّ رفق ولين؛ ليُوضّح له أنّ هذه الأصنام ما هي إلاّ ضلال مبين، فبذل جهده بكلّ لطف وسماحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[مريم: 41-45].

هنا تظهر أسمى معاني الشّفقة والخوف متجليّة في تحذير إبراهيم عليه السلام لأبيه أنْ يكون من أتباع الشّيطان، فيُحْرَم من رحمة الله تعالى.

لقد كان إبراهيم عليه السلام مَثَلاً للابن البارّ الّذي يحبّ الخير لأقرب النّاس إليه، فقد دعا أباه برفق ولين، ولم يُعنّفه في الخطاب، بل كان يخاطبه بكلّ أدب ووقار، ويجادله بالحسنى وبالعطف، كما لم يَقْسُ عليه في الكلام ولم يُعنّفه في القول أو يزعجه بالوعظ.

وهكذا كان إبراهيم عليه السلام مع قومه -أيضاً-، فهو جامع لخصال الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النّحل: 120].

المطلب الثّالث: رفق نبي الله موسى عليه السلام:

لقد أرسل الله -تبارك وتعالى- موسى عليه السلام إلى أعتى جبابرة الأرض(فرعون) الّذي لم يَتْرُك ذنباً إلاّ اقترفه، من تنكيل وتعذيب للمستضعفين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص : 4]، بل لم يكفِ عند هذا الحدّ فأضاف إلى ذلك دعواه الربوبية والإلوهية، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: 24]، وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، ومع كُلّ هذا نجد في المقابل الأمر الرّباني من الله -عزّ وجلّ - الكريم الرّفيق لرسوليه موسى وهارون -عليهما السّلام- يأمرهما بالإحسان والرّفق بهذا الجبّار المعتدي، قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾﴾ [طه: 43-44]. وقد قابل فرعون هذا اللّطف الفائق بمزيد من الاستكبار والعلوّ في الأرض، بعد أنْ رأى من آيات الله -عزّ وجلّ - الخارقة التي أجراها على يد نبيّه موسى عليه السلام، فكان مصيره الغرق، قال تعالى: ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: 70].

المطلب الرّابع: رفق نبيّنا محمّد ﷺ:

كان نبيّنا محمد ﷺ، على الرّغم ممّا أصابه من أهل مكّة، رفيقاً بهم، فقد آذوه أشدّ الإيذاء، ضربوه، عذّبوه، ورموا القاذورات عليه أثناء صلاته، وهو صابر محتسب حليم

عمّا كان منهم.

ففي صحيح البخاريّ أنَّ عَائِشَةَ -زَوْجَ النّبيّ ﷺ- أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ،وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ،وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ؟ فَقَالَ النّبيّ ﷺ: لَا ، أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[1].

ومن رفقه ﷺ: دعاؤه لكلّ مَنْ تولّى أمراً من أمور أُمّته فرفق بهم بالرّفق به، ومَنْ شقّ عليهم بالمشقّة عليه، فقد كان يدعو ويقول: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ)[2].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السّماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، برقم 3231، ج 4، ص 115.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، برقم 1828، ج 3، ص 1458.

فهذا نموذج من رحمة النّبيّ ﷺ ورفقه وشفقته بقومه(1).فقد كان رفيقاً رؤوفاً رحيماً، كما قال عنه الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التّوبة: 128].

فإنّ الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، ما بعثه صخّاباً ولا لعّاناً ولا سبّاباً؛ إنّما بعثه لكي يكون رحمةً للأُمّة ولكلّ مَنْ اتّبعه، فماخُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمريْن إلاّ اختار أيسرهما؛ وكان ﷺ رفيقاً بالأُمّة، فما كان من تشريع أو أمر فيه ضقٌ على الأُمّة إلاّ سأل ربّه أنْ يُخفّف وأنْ يلطف بعباده.

المبحث الثّالث

أثر أسلوب الرّفق على الدّاعية والمدعوّ

نتناول في هذا المبحث ما يتركه أسلوب الرّفق من أثر على الداعية والمدعو في المطلبيْن التّاليْن :

المطلب الأوّل: أثر أسلوب الرّفق على الدّاعية:

الدّاعية الّذي يمتثل أسلوب الرّفق في شخصيّته يجد آثار ذلك الخُلُق في نفسه قبل المدعوّين. ومن تلك الآثار:

(1) في سيرة النّبيّ ﷺ مواقف كثيرة تدلُّ على رفقه بأُمّته، من أمثلتها: رفقه مع الأعرابيّ الّذي جذبه من ردائه، رفقه بمَنْ حاولوا قتله كفضالة وغيره، رفقه بأهل مكّة يوم الفتح. تراجع في كُتُب السّيرة.

1/ الطُّمأنينة القلبيّة :

ومَنْ ترفَّق في دعوته يشعر بالسّكينة والطُّمأنينة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرّعد: 28].

وتأتي هذه الطُّمأنينة وانشراح النّفس عندما يشعر الدّاعية أنّه قام بما أوجبه الله -عزّ وجلّ - من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، منتهجاً في ذلك أسلوب الرّفق في دعوته، مقتدياً بأنبياء الله ورسله، قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : 104].

2/ إكساب المزيد من العلم :

الدّاعية عندما يرى نجاح دعوته -بفضل الله وتوفيقه- ثُمَّ بسبب ما استخدمه من رفق يُشجّعه ذلك إلى المزيد في طلب العلم والاطّلاع، حتّى يجيب عمّا أشكل على المدعوّين من أمور. فيجيب عمّا يعلم ويبحث عمّا لا يعلم.

3/ إكساب المزيد من الخصال الحميدة:

يكتسب الدّاعية إلى الله تعالى في سيره في طريق الدّعوة باستخدام أسلوب الرّفق خصالاً حميدة، كضبط النّفس، والصّبر، والسّماحة.

4/ محبّة المدعوّين للدّاعي:

على قدر حظّ الدّاعية من بذلخُلُق الرّفق أثناء دعوته ترتفع درجة محبّتهم له، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل

عمران: 159]. فبالحبّ يسهل الإتّباع فتحصل الهداية -بإذن الله- التي هي مبتغى كُلّ داعية عند دعوته إلى الله -عزّ وجل-. ونجد هذه المحبّة واضحة جليّة كأروع ما يكون في حبّ السّلف الصّالح تجاه داعية البشريّة الأكرم رسولنا محمد ﷺ، وترجموا له هذا الحبّ العظيم أقوالاً وأفعالاً.

5/ اقتداء المدعوّين بالدّاعية:

إنّ مقتضى المحبّة الحقيقية يُلزم المدعوّ بالاقتداء بالدّاعية والسّير على نهجه في تطبيقه للأوامر الرّبانيّة والتّوجيهات النّبويّة مع مراعاة عدم الغلوّ في ذلك. لذلك على الدّاعية إلى الله أنْ يلتزم بالقول الحَسَن والأسلوب الّذي فيه رفقٌ بالنّاس، حتّى يتأسّى به المدعوّون في أسلوبه الرّفيق.

6/ رفق الله -عزّ وجلّ- بالدّاعية في الدّارين:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَشُقَّ عَلَيْهِ)(1). ولقد كان الدّاعية الأوّل رسولنا محمد ﷺ رفيقاً رحيماً قال فيه ربّنا -عزّ وجلّ-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التّوبة: 128].

(1) أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده، باب ما يُرْوَى عن عبد الله بن عامر، برقم 1119، ج 2، ص 536.

7/ حصول الخيريّة في الدُّنيا والآخرة:

عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ – بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ الرِّفْقَ)[1]. وقال –عليه الصّلاة والسّلام–: (مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ)[2]. قرّر الرّسول ﷺ في الأحاديث السّابقة قاعدة ينبغي لكلّ داعية التّنبُّه لها، وهي: أنَّ حصول المرء على الخير يكون مساوياً لمقدار ما يبذله في الحياة من رفق ولين، وأنَّ نصيب الرّجل من الخير على قدر نصيبه من الرّفق، وحرمانه منه على قدر حرمانه منه[3]

قال أبو حاتم –رحمه الله–: "الواجب على العاقل لزوم الرّفق في الأمور كُلّها، وترك العجلة والخفّة فيها، إذ الله تعالى يحبّ الرّفق في الأمور كُلّها، ومَنْ مُنِعَ الرّفق مُنِعَ الخير، كما أنَّ مَنْ أُعْطِيَ الرّفق أُعْطِيَ الخير، ولا يكاد المرء يتمكّن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الّذي يحب إلاّ بمقارنة الرّفق ومفارقة العجلة"[4].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند النّساء، مسند الصّدّيقة عائشة بنت الصّدّيق –رضي الله عنها– برقم 24427، ج 40، ص 488.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل الرّفق، برقم 2592، ج 4، ص 2003.

(3) تحفة الأحوذيّ بشرح جامع الترّمذيّ، المباركفوريّ، مرجع سابق، ج 6، ص 139.

(4) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان بن معاذ بن مَعْبد التّميميّ

المطلب الثّاني: أثر أسلوب الرّفق على المدعوّين:

المدعوّ هو مَنْ تُوجَّه إليه الدّعوة، وهو الإنسان مطلقاً، قريباً كان أم بعيداً، مسلماً أو غير مسلم، ذكراً كان أو أنثى، إلى غير ذلك من الأصناف[1].

ولأسلوب الرّفق آثار عظيمة إنْ استخدم في الدّعوة إلى الله تعالى، وخصوصاً في حياة المدعوّ. ومن تلك الآثار:

1/ تحويل البُغْض إلى حُبّ:

من أمثلة ذلك: قصّة ثمامة بن أثال سيّد أهل اليمامة، فقد أخرج مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ. فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)، فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: (مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ)، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ

الدّارميّ البُستيّ، دار الكُتُب العلميّة، بيروت، ص 215.

(1) المدخل إلى علم الدّعوة، محمد أبو الفتح البيانونيّ، ص 42.

تُعْطَ مِنْهُ مَاشِئْتَ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ). فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَامُحَمَّدُ..!! وَالله مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ ،وَالله مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ ،وَالله مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ كُلِّهَا إِلَيَّ ،وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَا ذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله ﷺ،وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَصَبَوْتَ ؟ فَقَالَ : لاَ وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ،وَلاَ وَالله لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ[1].

فهذا التّحوُّل الوجداني من البُغض إلى الحُبّ كان من تأثير رفق النّبيّ ﷺ بثمامة ﷺ.

2/ هداية المدعوّ إلى طريق الحقّ :

فإنَّ الرّفق يصلح النّفوس، ويؤثّر فيها تأثيراً لطيفاً، ويستعطفها إلى المطلوب منها. بخلاف العُنْف.

3/ السّعادة في الدّارَيْن:

إنَّ أبواب الخير تُفْتَح لِمَنْ اتّصف بهذا الخُلُق العظيم.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّيَر ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المَنّ عليه، برقم 1764، ج 3، ص 1386.

4/ السّؤال والتفقُّه في الدّين:

إنَّ رفق الدّاعية بالمدعوّ ولطفه من أعظم السُّبُل الّتي تشجّعه على الاستزادة من طلب العلم، والحرص على السّؤال في كُلِّ ما أشكل عليه من أوامر شريعة الإسلاميّة ونواهيها.

5/ تفريج الهموم:

فالمعصية تورث همّاً في القلب وضيقاً في الصّدر، ولا ينجو الإنسان إلاَّ عند التّوبة منها، وتكفيرها إنْ كانت من المعاصي المستوجبة للكفارة. ولا شكّ أنَّ رفق الدّاعية وحُسْن تعامله مع ذنب المدعوّ من أبرز الوسائل الّتي تعين المدعوّ -بإذن الله- على التّخلُّص من هذا الضّيق الّذي يعتريه إزاء اقترافه لهذه المعصية.

فعلى الدّاعية أنْ يتحلّى بالرّفق والأناة والحلم، فلا يُعنِّف ما وجد للرّفق سبيلاً؛ وذلك أنَّ مَنْ ابتُلِيَ بانحراف؛ من غلوّ أو غيره من الأمراض الفكريّة، إنّما هم جُزء من مجتمعنا، وعلى الدّاعية أنْ يأخذ بأيديهم بكُلِّ رفق وحلم، وأناة ولين. وليتأمّل قوله سبحانه لموسى وهارون -عليهما السّلام-: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: 43-44].

ولئن كان مثل ذلك في حقّ الطّاغية الكافر، الّذي ادّعى لنفسه الرّبوبيّة والألوهيّة من دون الله؛ فلأنْ يكون الحلم والخطاب اللّين مع أقوامنا من باب أَوْلَىَ . وهذا هو منهج نبيّنا محمد ﷺ، وتلك هي طريقته في دعوته وأسلوبه في العلاج، وتقويمه لكُلِّ انحراف أو اعوجاج.

خاتمة

الحمد لله الذي بفضله وصل هذا البحث إلى نهايته، وقد تناول موضوع الرّفق في شخصيّة الدّاعية وأثره على المدعوّين، فبيّنَّ مفهوم الرّفق وأهميّته ومجالاته، واستدعى نماذج من رفق الأنبياء والمرسلين -عليهم السّلام- مع أقوامهم، وكشف أثر أسلوب الرّفق على الدّاعية والمدعوّين.

توصّل البحث إلى نتائج وتوصيات حول هذا الموضوع، هي:

أولاً: النّتائج:

توصّل الباحث إلى عدد من النّتائج، أهمّها:

1. مفهوم الرّفق يدور حول التّلطُّف في أخذ الأمور، مع محاولة بلوغ المقصود بأيسر الطُّرُق وألطفها.
2. الرّفق أسلوب دعوي مُهمّ، وهو من أعظم مُقوّمات الدّاعية وأخلاقه.
3. كانت دعوة جميع الأنبياء -عليهم السّلام- مكلّلة بأسلوب الرّفق، منتهجة للصّبر، داعية إلى الله بالّتي هي أحسن.
4. للرّفق آثار عظيمة وفوائد جمّة على الدّاعية نفسه وعلى المدعوّين، فباستخدامه يكتسب الدّاعية خصالاً حميدة، كضبط النّفس، والصّبر، والسّماحة. كما أنَّ الرّفق يصلح نفوس المدعوّين، ويؤثّر فيها تأثيراً لطيفاً، ويستعطفها إلى المطلوب منها، بخلاف العُنْف.

ثانياً: التّوصيات:

بناءً على ما سبق من نتائج يوصي الباحث بما يلي:

1. على الدّاعية إلى الله تعالى أنْ يلتزم بالقول الحَسَن، والأسلوب الّذي فيه رفقٌ بالنّاس.
2. على الدّاعية أنْ يتحلّى بالرّفق والأناة والحلم، فلا يُعنِّف ما وجد للرّفق سبيلاً.
3. على القائمين على أمر المؤسّسات الدعويّة والإصلاحيّة والخدميّة في مجتمعاتنا الإسلامية أن يتبنّوا أسلوب الرّفق؛ فهو الأنفع والأجدى في الدّعوة والإصلاح.
4. عقد الدّورات التّدريبية لتدريب الدعاة على أساليب الرّفق إنجاحاً للدّعوة الإسلاميّة.

.. وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين ..